السيرة 15 الهجرة

الحمد لله وكفى، والصلاة والتسليم على نبي المصطفى. طلابنا الكرام، أهلًا وسهلًا بكم ومرحبًا بكم، أحييكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. لما اشتد البلاء على المسلمين في مكة بعد بيعة العقبة الثانية، أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة، وأمرهم باللحاق بإخوانهم من الأنصار، فعن عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة قد أريت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، حين ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة، وتجهز أبو بكر مهاجرًا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي. قال أبو بكر هل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وعلف راحلتين كانت عنده ورق السمر أربعة أشهر. بعد الإذن بالهجرة، بدأ الصحابة يخرجون إلى يثرب ويخفون ذلك، فكان أول من قدم إليها أبو سلمة بن عبد الأسد. ثم قدم المسلمون أرسالا، وأبو سلمة هو أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، ثم قدم المسلمون أرسالا، فنزلوا على الأنصار في دورهم، فآووهم ونصروهم، ولم يبق بمكة منهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعلي بن أبي طالب، أو محبوس، أو ضعيف عن الخروج، وأخذ المسلمون يغادرون مكة متسللين منها خفية، فرادى وجماعات، خشيت أن تعلم قريش بأمرهم، فتمنعهم من ذلك. تاركين وراءهم كل ما يملكون من بيوت وأموال وتجارة، فرارًا بدينهم وعقيدتهم. كان أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد كما قلنا، وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة الثانية بسنة لأن قريش آذته بعد مرجعه من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها، ثم بلغه.

إسلام بعض أهله يثرب، فعزم على الهجرة إليه، فلما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة قام رجال من بني المغيرة قوم أبو سلمة بمنع زوجته أم سلمة من الهجرة معه. ومنع بنو عبد الأسد قوم أبي سلمة ابنه من الهجرة معه، تقول أم سلمة، فكنت أخرج كل غداة، فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، حتى مرر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحمني، فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها. فقالوا لي: إلتحقي بزوجك إن شئت. فأخذت ولدها وارتحلت إلى يثرب، حتى لقيت عثمان بن طلحة بالتنعيم، فأوصلها إلى يثرب ثم توالت هجرة الصحابة بعد أبي سلمة، فهاجر عامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، ثم عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش، ونزلوا بقباء على مبشر بن عبد المنذر. وأجرى وهجرة عمر بن الخطاب. روي أن عمر بن الخطاب لما هاجر لم يهاجر متخفيا، بل تقلد سيفه ووضع قوسه على كتفه، وحمل أسهما، وذهب إلى الكعبة، حيث طاف سبع مرات، ثم توجه إلى مقام إبراهيم صلى، ثم قال لحلقات قريش إن المجتمع شاهد الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تذكله أمه، ويتم ولده، أو يرمز زوجته، فليلقني وراء هذا الواد. فلم يتبعه أحد منهم، ثم مضى إلى يثرب، ومعه ما يقارب العشرين شخصا من أهله، وقومه، منهم أخوه زيد بن الخطاب، وعمرو بن سلاقة، وأخوه عبد الله، وأخونيس بن حذافة، وابن عمه سعيد بن زيد، ونزلوا عند وصولهم في قبا عند رفاعة بن عبد المنذر، وكان قد سبقه مصعب بن عمير وابن أم مكتوم

وبلال بن رباح وسعد بن أبي الوقاص وعمار بن ياسر. هجرة صهيب، كذلك بن سنان الرومي، ذكر بن هشام. النصايبا حين أراد الهجرة قالت له قريش: أتيتنا صعلوكا حقيرا، فكثر مالك عندنا، وبلغت.

الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب أرأيتم إن جعلت لكم مالي؟ أتخلون سبيلي؟ قالوا نعم. قال فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ربح صهيب، ربح صهيب، ولد صهيب بن سنان بن عبد معمر في الجزيرة الفراتية بالقرب من نينوى. وهو من بني النمر ابن قاست إحدى قبائل ربيع بن نزار. كان أبوه أو عمه عاملا لكسر على الأبل، وقد تعرض صهيب للسبي صغيرا عندما أغار الروم على منازل قومه وحملوه معهم، فأقام بين الروم فترة ثم اشتراه رجلا من كلب وباعه في مكة إلى عبد الله بن جدعان التيمي الذي اعتقه. وقيل أن صهيب بن هرب من الروم فأتمكى وحالف بن جدعان. أما أمه فكانت من بني تميم واسمها سلمى بنت قعيد بن مهض. كان صهيب بن سنان صاحبيا للنبي صلى الله عليه وسلم، قبل أن يوحى إليه. ولما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، أسلم سهيب مع عمار بن ياسر في ساعة واحدة، بعد أن دخل النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقام ليدعوا فيها، فكان إسلامهم بعد بضعة و30 رجلا، وكان من أوائل من أظهروا إسلامهم في مكة، ولما كان صهيب من الموالي، استضعفته قريش، فعذبتها. قال مجاهد بن جبر. أول من أظهر إسلامه سبعة: النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وبلال، وصهيب، وخباب، وعمار بن ياسر، وسمية أم عمار رضي الله عنهم أجمعين. فهم النبي صلى الله عليه وسلم، فمنعه الله، وعم أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرين فأخذوا وألبسوا الدراع الحديد، ثم أسهروا في الشمس. ولما أراد صهيبنا الهجرة إلى يثرب، اعترض أناس من أهل مكة، فأناثر كنانته، وكان من الرومات المهرة، وخيرهم بأن يرميهم بسهامه، أو أن يدلهم على ماله، أين خبأه؟ على أن يتركوه. فتركوه على أن يخلي بينهم وبين ماله. هاجر صهيب معالي بن أبي طالب، فكان آخر من هاجر من مكة، وبلغ يثرب في الخامسة عشر من الربيع الأول سنة السنة الأولى للهجرة، والنبي صلى الله عليه وسلم وقت إذا لا زال مقيما في قبعة، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أمر صهيب، وما فعله من أهل مكة، قال يا أبا يحيى، ربح البيع، ربح البيع، ربح البيع. في ذلك نزلت، ومن الناس من يشتري نفسه بتغاء مرضاة الله. والله رؤوف بالعباد. بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أقام صهيب بالمدينة المنورة، وكان محل إجلال بين المسلمين، وقد اختاره عمر بن الخطاب لما طعن ليصلي بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على خليفة جديد. ولما قتل عثمان بن عفان، اختار صهيب أن يعتزل الفتنة التي وقعت بين المسلمين إلى أن توفي في المدينة المنورة في شوال سنة 38 هجري على خلاف في مقدار عمره وقت وفاته. فقيل 73 سنة وقيل 84 سنة، وقيل 70 سنة. وقد دفن صهيب في البقية. بعد أن صلى عليه سعد بن أبي الوقاص. وكان صفته. كان رجلا أحمر، شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى القصر أقرب. كثير شعر الرأس، وكان يخذب بالحناء.

و أبي بكر الصديق كان رجل أبيض نحيف، خفيف العارضين، أي خفيف اللحية. عمر بن الخطاب، كان عمر رجلا طويلا ضخم الجسم، أصلع الرأس، له حفافان جميل، ملامح الوجه أبيض شديد الحمرة في عيني حور، كثيف اللحية، عريض الكثيفين. عريض القدمين والكفين، قوي البنية، أعسر

أن يستخدم اليد اليسرى، جهوي الصوت. وعثمان بن عفان رضي الله عنها، كان جميلا، ليس بالقصير ولا بالطويل، أسمى الرقيق البشرة، كبير اللحية، كثير الشعر. وعلي بن أبي طالب كان رجل ربعة في القامة إلى القصر، ما هو ذا لحية بيضاء عظيمة تصل إلى صدره، كما كان عظيم الذراع إذ كانت ضخمة أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، وإلى السمن أقرب ضخم البطن. هذا بين قوسين في صفات بعض الصحابة رضوان الله عليهم. وفي الإذن في الهجرة ذكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية. وجاء في نحر الظهيرة، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة بين ظهري قومه، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت فلما رآه أبو بكر؟ قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنتي أبي بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عني من عندك، فقال يا رسول الله، إنما هما بنتاي، وما ذاك؟ فذاك أبي وأمي، فقال إنه قد أذن لي في الخروج والهجرة. قالت فقال أبو بكر رضي الله عنه الصحبة يا رسول الله؟ قال الصحبة. قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا. فاستأجر عبد الله بن أريقط، وهو رجل من بنيل بن بكر. وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركا. استأجره لي، يدلهما على التيق، فدفع إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. لم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر. أما علي رضي الله عنه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته. وكان الميعاد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه، فخرج من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته. وذلك للإمعان في الاستخفاء حتى لا تتبعهما قريش، وتمنعهما من تلك الرحلة المباركة. وحمل أبو بكر ماله كله ومعه 5000 درهم، أو 6000، وقد ابتعد مع الليل على أن يلقاهما عبد الله بن أريقت في غار ثور، وهو رجل كما قلنا كان مشركا وقد أَمناه، ودفع لهما، ودفع آ إليه راحلتيهما، ووعده غار ثورة بعد ثلاث ليال براحدتيهما. وقد جاءهما فعلا في الموعد المحدد، وسلك بهما طريقا غير معهودا. يخفي أمرهما عمن يلحق بهم من كفار قريش. روى الإمام أحمد عن بن عباس رضي الله عنهما أن المشركين اقتصوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغوا الجبل جبل ثور، اختلط عليهم، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار.

فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه. وقصة نسج العنكبوت على الغار مروية من طرق، وقد ضاعفها بعض المحدثين، وحسنها بعضهم. وممن حسنه الحافظان ابن كثير، وابن حجر رحمهم الله، وأما خبر بيض الحمامتين فلم نر من نص على ثبوته من العلماء. دخل أبو بكر الغار قبل أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم حتى يطمئن أن المكان لا يوجد به حي أو سبع، أو غير ذلك. وقد لدغ أبو بكر الصديق أثناء تطهيره الغار، ولم يبين ذلك للنبي

صلى الله عليه وسلم، بعد ذلك، شد عليه ألم لدغى، فبكى وسقطت دمعته على وجه النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان نائم في حجره، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا له، وبسق على مكان اللدغة، فشفي بإذن الله. وكان عبد الله بن أبي بكر قد عرف من أبيه حين الهجرة من مكة أنه سيلجأ مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى غار ثوره. فكان إذا جن الليل ينطلق إلى الغار، فيقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أبيه ما رأى من مشرك قريش، وما سمع من تدبيرهم. ثم يأتي عامر بن فهيرة مولى أبي بكر بأغنامه. فينال الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من ألبانها ولحومها ما يشاءان. وعامر بن فهيرة هذا متوفى سنة أربعة هجرة صحابي، ومولى أبو بكر الصديق. وأحد السابقين إلى الإسلام، وكان من المستضعفين الذين عذبوا لما اعتنقوا الإسلام. كان عامر بن فهيرة عبدا أسودا، فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه فصار مولا له. وكان لابن فهير دورا بارزا في الهجرة النبوية، حيث كان يرعى الغنم لأبي بكر التي يمحو بها آثار الأقدام. ثم يعود عبد الله بن أبي بكر إلى دياره، ويعود عامر بالقطيع وراءه ليعفي على أثره، ويعود اللاجئان إلى عزلتهما بالغار، يونسهم الإيمان، وتحيط بهما عناية الرحمن. وبعد ثلاث ليال من دخول النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، خرج وصاحبه من الغار، وقد هدأ الطلب، ويئس المشركون من الوصول إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عبد الله بن أبي بكر الذي كان يتردد على النبي وأبوه أبي بكر أثناء تخفيهما في غار ثور، فيأتي بالأخبار والطعام، ومراقبة تحركات قريش. وقد تزوج عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه من عاتك بنت زيد. أحب عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنها زوجته عاتك حبا شديدا، حتى غلبت عليه نفسه، وشغلته على المغازي وغيرها، فأمره والده أبو بكر رضي الله عنهما بطلاقها. وفيما يأتي ذكر شعر لعبد الله بن أبي بكر في عاتك، حيث أخذ يردد أعاتك لا أنساك ما ضر شارك، ومناح قمري الحمام المطوق. فسمعه والده أبو بكر رضي الله عنه فرق قلبه له، فأمره، فارتجعها هاجر عامر بن فهيرة إلى يثرب، وشارك مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، وأحد، وقتل في سرية بئر معونة، وعن عرو بن الزبير قال طلب عامر يومئذ في

القتلى، أو طلب عامر يومئذ في القتلى، فلم يوجد، فيرون أن الملائكة دفنته، لما هم النبي صلى الله وسلم، وصاحبه أبو بكر بالهجرة. تخفيا لفترة في غار ثور، حتى يفقد متتبعيهم أثرا، فكان عامر بن فهيرة يروح بغنم أبي بكر عليهما فيحتلي بالغنم، وإذا خرج عبد الله بن بكر من عندهما اتبع عامر بن فهيرة أثار ابن غنم حتى يخفي آثار أقدامه. ولما سار إلى يثرب، خرج عامر بن فهير معهم، حيث أردفه أبو بكر خلفه، وفي الطريق إلى المدينة، مر النبي صلى الله عليه وسلم بأم معبد في قديد، حيث مساكن خزاعة، وهي أخت خنيس بن خالد خزاعي الذي روى قصتها، وهي قصة تناقلها الروات وأصحاب السير، وقال عنها بن كثير، وقصته مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا.

فعن خالد بن خنيس الخزاعي رضي الله عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة، وخرج منها مهاجر إلى المدينة، هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة رضي الله عنه، ودليلهما الليث عبد الله بن عريقط، مروا على خيمة أم معبد الخزاعية. وكانت برزة جلدة تحتبئ بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحما وثمرا ليشتروه منها. فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى شاة في كسر الخيمة، فقال ما هذه الشات؟ يوم معبد؟ قالت خلفها الجهد عن الغنم، قال فهل بها من لبن؟ قالت هي أجهد من ذلك، قالت تأذنينا أن أحلبها؟ قالت بلى بأبي أنت وأمي، نعم، إن رأيت بها حلبا فاحلبها. فدعى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبسح بيده ضرحة، وسمي الله عز وجل ودعا لها في شاتها، فتفاجئت عليه، وذرت، واشترت، ودعا بإناء يربضوا الرهط، فحلب فيها ثجة حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت، وسق أصحابه حتى رووا، فلما رأى أبو معبد اللبن، بعد أن جاء عجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد؟ والشت عازب حيال ولا حلوبة في البيت؟ قالت لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال صفيه لي يا أم معبد، عندما أخبرت أم معبد زوجها، قالت أبو معبد، قال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

كانت عناية الله برسوله ظاهرة في كل تفاصيل وجزئية هجرته، كيف لا وهي هجرة لمرضاة لمرضاة الله، وفي سبيل الله. للرسالة الخاتمة الجامعة، فصلى الله على خير البشرية أفضل صلاة، وتسليم. إلى هنا، نكون قد أنهينا درسنا اليوم على أمل اللقاء بكم في الدرس القادم، أستودعكم الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.